شخصية الباحث في البحث (التفكير النقدي)

1- ماهية الباحث:

يعرفه سعيدوني بأنه:" القاضي الذي يعدل في أحكامه كلما ابتعد عن التحيز والهوى والتزام الحياد إزاء الآراء والمواقف المتعارضة قبل بحثها، وتتجلى نزاهة الباحث في تجنبه للكذب وتزوير الأحداث والنأي بنفسه عن التملق لأصحاب الجاه والسلطان، والزهد في الشهرة والظهور وعدم السماح لنفسه باستغلال جهود الآخرين وسرقة نتاج بحوثهم"[1].

وعليه، فالطالب الباحث أو الباحث في التاريخ أو المؤرخ هو الذي يدرس ويدون عن التاريخ، أو يؤلف كتابات تاريخية والتي تعتبر مرجعًا في هذا العلم. فالتاريخ لم يعد مجرد سرد للحوادث الماضية في حياة الاشخاص والامم ،بل هو منهج علمي هام ومتكامل ،ولا يمكن لأي شخص العمل فيه إلا اذا توافرت فيه صفات المؤرخ ومهاراته التي تمكنه من الكتابة التاريخية.كما ان التأريخ تحول إلى مهنة في نهاية القرن التاسع عشر ،وذلك بتحديد معايير معينة ،ويطلق على العامل بها اسم مؤرخ والاهتمام بحقل التاريخ يتطلب من المشتغل به امتلاك أدوات البحث فيه من سعة الاطلاع في موضوع التاريخ والتعرف على مختلف النظريات واتباع مناهج البحث المناسبة، وبالتالي، فالمؤرخ لا بد من أن يتحلى بصفات وأخلاقيات معينة.

مبادئ منهجية البحث التاريخي

الباحث بمثابة القاضي الذي يعدل في أحكامه كلما ابتعد عن التحيز والهوى والتزم الحياد إزاء الآراء والمواقف المتعارضة قبل بحثها، وتتجلى نزاهة الباحث في تجنبه للكذب وتزوير الأحداث والنأي بنفسه عن التملق لأصحاب الجاه والسلطان، والزهد في الشهرة والظهور وعدم السماح لنفسه باستغلال جهود الآخرين وسرقة نتاج بحوثهم. كما أن أصالة الباحث تقوم أساساً على قدرته على إنجاز البحث من خلال مصادره الأساسية بحيث يكون الباحث ملماً بلغة المصادر الأصلية لموضوعه، قادراً على الانتفاع بها لأن الترجمة والاعتماد على الغير لا يقدمان حلاً ولا يؤديان الى نتيجة ملموسة للبحث، ولعل أحسن الطرق لإنجاز العمل التاريخي هو عدم تشتيت الجهد هنا وهناك، بل لا بد من التفرغ للبحث وتكريس الجهد فيما يتصل به فعلاً، فلا يحاول الباحث التسرع في عمله او اختصاره أو العجلة فيه لنيل منفعة آنية أو للحصول على لقب علمي، لأن الحقيقة العلمية التي يتوصل إليها وقيمة العمل المنهجي تفوق كل ألوان الكسب وصنوف الرتب والألقاب

[1] سعيدوني، أساسيات منهج التاريخ، ص 30.

شخصية الباحث في البحث (التفكير النقدي)

2- التفكير النقدي:

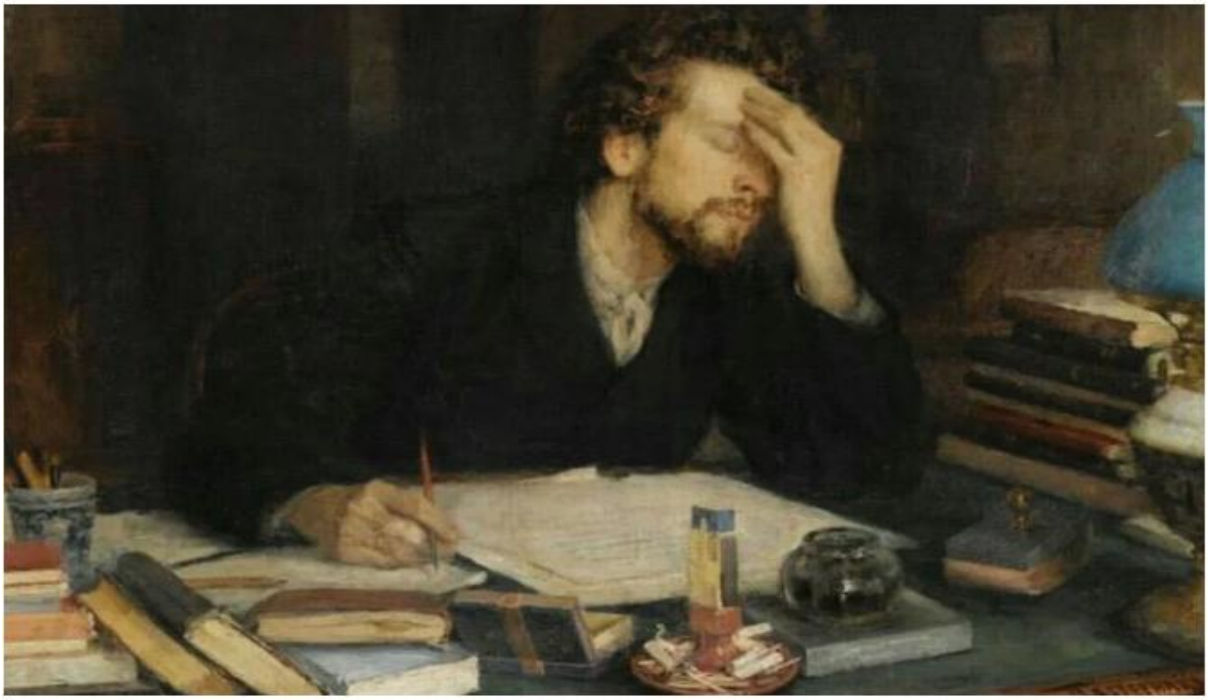
من الصفات الواجب توفرها في الباحث في التاريخ هو ان يتوفر على الروح النقدية:" فلا يتأثر بالمسلمات المتواترة ولا يصدق الاحداث بغير فحص واستقصاء، لأن المؤرخ الذي ينتهج طريق النقد يصبح مجرد مسجل وارو للأخبار، فالروح النقدية عامل أساسي في أي عمل تاريخي ذي قيمة علمية، وبافتقار هذا الحس النقدي لا يمكن للباحث أن يكتشف أخطاءه ويضبط آراءه ويتقبل أحكام وانتقادات الآخرين، كما لا تتوفر له النظرة الثاقبة التي تسمح له برؤية جوانب الضعف في عمله وقصور تصوره. كما ان الباحث بدون هذا الحس النقدي تنعدم النظرة التحليلية والدقة في الوصف لديه، لأنه لا يستعمل العقل الواعي المرتب والمنظم في عرض الحقائق وجمع الأخبار واستخلاص النتائج وتحديد العلاقة بين الحوادث في الزمان والمكان"[2].

والمعلوم أن التعامل مع المادة التاريخية يوجب نقدها، ومن خلالها يكتسب الباحث في التاريخي بتخصصه الشجاعة الادبية والنظرة المتفتحة، فالتسليم بالوقائع ونقلها كما على ما يقول الفيلسوف الهولندي باروخ سبينوزا (*Baruch Spinoza*)" هي نوع من الجبن العقلي". وكما أسلفنا الذكر، فمعرفة الباحث بالمنهج التاريخ والمامه بخطواته، ستحيله على اشكاليته التي تنتهي إلى ضرورة نقد اول مصادر التاريخ الوسيط على التخصيص ونقصد بها الوثائق. وعليه، فالباحث مجبر على طرح تساؤلات حول مصدر المعلومة التي سيبني عليها حدثه التاريخ وينقله، وهذه التساؤلات نلخصها في: على أي جزء يمكن الوثوق بالوثيقة؟ وما القدر الذي يمكن قبوله في الجزء المقبول أصلا؟ وما الحد الذي يمكن للباحث ان يطمئن لما احتوته من معلومة؟ ويحتاجةالباحث إلى نقد ظاهري للوثيقة، وآخر باطني ايجابي وسلبي حتى ينتهي إلى حل معضلة " الأصل في التاريخ الاتهام وليس براءة الذمة".

[2] سعيدوني، أساسيات منهج التاريخ، ص 31.

شخصية الباحث في البحث (التفكير النقدي)

-من خلال هذا التعريف يمكننا تلخيص بعض الصفات التي يجب أن تميز الباحث أو المتخصص في التاريخ أو المؤرخ حتى ينتهي بإخراج بحث كامل منهجيا وعلميا، متناسق خال من العيوب، ونوجزها في العناصر الآتية:



-التمكن من مصادر تخصصه: هذه الصفة مهمة جدا في المجال الوسيط، فالقدرة على تمييز المصادر وطبيعة المادة المدونة في كل منها، صاحب التأليف، تاريخ وفاته، ميولاته، مؤلفاته الاخرى، تنتهي بالباحث إلى القدرة على تحديد أي المصادر قادر على خدمة بحثه التاريخي، كما تمكنه هذه الخاصية من القدرة على نقد المصدر وتحليل محتواه من خلال اطلاعه الكامل على جل المصادر المتيسرة لديه. في هذا الجانب كذلك، وجب ان يتصف الباحث بالصبر في حالة خوض بحث تاريخي به ندرة المصادر أو غموض الوقائع والحقائق التاريخية واختلاطها أو اضطرابها، وعليه مجابهة هذه الصعوبات بالحكمة والصبر[3].



- الموضوعية[4] والابتعاد عن التحيز والتحزب:

إن النموذج الذي يمكن اسقاطه على هذه الصفة

[3] عمار بوحوش، دليل الباحث في المنهجية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 47.
[4] ابراهيم بيضون، مسائل المنهج في التاريخ الاسلامي، ط1، دار المؤرخ العربي، بيروت، 2009م، ص 28-29.

شخصية الباحث في البحث (التفكير النقدي)

الواجبة بالباحث في التاريخ هي الميولات القبلية والحزبية التي ميزت بعض الكتابات خلال الفترة الاسلامية المتقدمة بالمشرق الاسلامي كما هو الحال مع المدرسة التاريخية العراقية، والتي بنت الحدث التاريخي على القبيلة والتحزب السياسي، فمنهم من مال إلى قبيلة الأزد كأبي مخنف، وسيف بن عمر كانت ميولاته نحو قبيلة تميم، كما ظهر على منهج بعضهم فكر "المثالب" وكان هدفه التشهير بإبراز مثالب العرب، وتزعم هذا التوجه زياد بن أبي سفيان، ثم تبعه لهذا المنهج في الكتابة الهيثم بن عدي.

-أبو مخنف لوط بن يحي (ت 157هـ/774م): من الرواة المتقدمين والمكثرين، عايش فترة مهمة من التاريخ الاسلامي المتقدم وحتى سقوط دولة الأمويين (132هـ/750م)، ويبرز في منهجه تأثره بالحزبية والقبلية والتشيع لآل البيت العلوي قال عنه ابن عدي بأنه شيعي محترق صاحب أخبارهم، وقال عنه ابن حيان أنه رافضي يروي الموضوعات عن الثقات، وفيه قال الذهبي وابن حجر أنه إخباري تالف لا يوثق به. وجمع أبو مخنف رواياته عن قبائل الأزد ونمير ومحارب وتميم، كما أورد روايات عائلية، وبعض الروايات الفردية، ومن مصادره أيضا شخصيات ساهمت في الحدث التاريخي.

-أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي (ت.204هـ/819م): الشهير بابن الكلبي البغدادي ثم الكوفي نسابة واخباري. تأثر في كتاباته بالنسب والقبيلة، ومن أشهر ما نسب إليه من مؤلفات كتابه:" جمهرة النسب"، قال عنه ابن النديم في فهرسته:" عالم بالنسب وأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها"، و ذكره الجاحظ:" كان علاّمة نسابة، ورواية للمثالب عيابة"، وكذا قال فيه ابن خلكان:" من الحفاظ المشاهير، وأنه أعلم الناس بعلم الأنساب". ولعل ما انفرد به ابن الكلبي هو أقواله في تاريخ العرب قبل الاسلام بالأخص في شقه المتعلق بموطنه العراق[5].

من جهة أخرى، نجد هذا التوجه مع كتاب البلاط كما في العصر الزيري أو المرحلة البادیسية مع المصدري ابن أبي الصلت، وكذا ابن شرف القيرواني، حيث توجهت الكتابة التاريخية خلالها إلى توظيف الهجرة الهلالية والسليمية إلى بلاد المغرب لأغراض أيديولوجية منذ البدايات الاولى بتأثير من

[5] عبد العزيز الدوري، نشأة التاريخ عند العرب، مركز زايد، 200م، ص 253 و 342؛ ويراجع: محاضرات في مدارس ومناهج تاريخية: https://cte.univ-setif2.dz/moodle/course/view.php?id=3018

البلاط البادیسي، وربطت تراجع الثقافة العمرانية بالقيروان وامارة باديس الزيري مع الحراك القبلي الهلالي الموصوف بالتخريب أو "الكارثة الهلالية– القطيعة". هذا التوجه المنحاز إلى فكرة غير صحيحة، نجدها حاضرة في نصوص ابن خلدون الذي ربط الحضور الهلالي بالمجالات الغربية بظاهرة " الخراب العمراني"، وكل هذه التوجهات وجب إعادة النظر فيها ومراجعة الاحكام الصادرة عن هؤلاء المصدريين بصفتهم مؤرخي العصر الوسيط[6].

وعليه، وجب ان يتصف الباحث بالنزاهة وعدم التحيز مع الجرد من الميول الشخصية أو المذهبية او العاطفية، والتحزب الساسي، وأن يتوخى في كل ذلك الحقيقة التاريخية في إطار المعلومات التي بحوزته سواء في عرض الاحدث التاريخي أو الحكم عليه من خلال النقد.

–الأمانة العلمية:



كما سبق وذكرنا في محاضرة ضوابط القانونية للمذكرة، يجب على الباحث أن يتصف بالامانة العلمية الكاملة، فلا يجوز له امتحال صفة باحث آخر، كما لا يجوز له نسب نتاج علمي له وهو ليس من جهده الخاص، بل وجب عليه تثمين أعمال الغير واحالتها لاصحابها من باب الامانة العلمية، ومن باب توسعه في الاطلاع على محتويات المكتبات في تخصصه. إن النصيحة المهمة في هذا الباب للباحث في التاريخ من جهة، وللباحثين الطلاب المبتدئين الالتزام التام بالأمانة العلمية في التعامل مع مصدر المعلومة وعدم تحييدها او تحوير محتواها او تبديله، والاحالة إلى صاحب المعلومة إنّما هو تقييم وتقدير، بل وتكريما لجهود هؤلاء المبذولة بمنتوجهم العلمي، لذا وجب احترام حقوق الملكية الفكرية بالإشارة الدقيقة إلى

[6] علاوة عمارة، الهجرة الهلالية وأثرها في في تغيير البنية الاجتماعية، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الامير، قسنطينة/الجزائر، 10(2009)، ص 18.

مصدرها، وعدم تحريف الفكرة عن اتجاهها خدمة لغرض ما، ففي النهاية سيكون نجاح بحثك أو مذكرة تخرجك بنجاح إحالتك وتهميشك الدقيق لما ورد في المتن[7].

– **التمكن من المنهج التاريخي**: أن يكون الباحث في التاريخ ملما بخطوات المنهج التاريخي لأنه من مقومات دراسة التاريخ، خاصة وأنه المنهج الذي يستقرئ الوثائق ويحللها ويستخلص منها الحقائق انطلاقا من الاستدلال والاستنباط العقلي، وعليه فهو يساعد على جمع الحقائق التاريخية وفحصها وترتيبها وفق قواعد محددة.

–**المؤهلات الشخصية**: يفترض أن يكون لكل باحث مميزات شخصية تمكنه من دراسة التاريخ بتخصصه بشكل موضوعي يصل به إلى تقييم للحقائق التاريخية بعيدا عن النسبية والمطلق، وهذا انطلاقا من الظروف التي يعيشها والتي ستطبع على عمله كمؤرخ، ومنها الاستعداد النفسي للخوض في البحث التاريخي، والتحلي بالصبر والمثابرة حتى يتغلب على كل الصعوبات التي ستواجهه خلال مسار اعداده للبحث.

–**التفرغ للبحث في التخصص**: نرى بأنها من أهم الصفات التي تسبق الخوض في البحث عن الحقيقة التاريخية، فأنجع السبل إلى نجاح الباحث في التاريخ هو التخصص ولا غيره، فلا يجوز له المشاركة في ابحاث خارج تخصصه لأن ذلك سيشتت جهوده، بل أعتبره شخصيا مضيعة لوقته وقدراته، فنوجه المتخصص في التاريخ الوسيط ألا يبذل جهدا في المشاركة في اعمال بحثية ضمن التاريخ العثماني، أو تاريخ الثورة، باستثناء أن يكون العمل هو استكمال لبحثه الوسيطي، أو له علاقة ببحثه فهذا ممكن الاستفادة منه، وغير ذلك قد يجعل بحوثه ضعيفة وغير علمية، لعدم قدرته على تمييز مصادر التخصصات الاخرى، هذا من جهة، وسيؤدي به إلى صعوبة العودة إلى البحث في تخصصه بسبب الارهاق وتشتت ذهنه، وهو ما قد يضيع عليه أبحاثا مهمة في تخصصه. بالمقابل،

[7] يراجع مختلف القوانين الصادرة حول الامتثال للأمانة العلمية ومحددات نزاهة البحث الجامعي منها: القرار رقم 2020/1082 المؤرخ في 2020/12/27م. الرابط:
https://www.google.dz/url?esrc=s&q=&rct=j&sa=U&url=https://wipolex.wipo.int/ar/legislation/details/20554&ved=2ahUKEwivmcSymvj3AhUwzoUKHVZEBFkQFnoECAcQAg&usg=AOvVaw1D9EAxFcGTGZIhIpbKrl0w

على الباحث اذا ما اختار موضوعا للبحث فيه، أن لا ينجر وراء التسرع لاكماله، أو تسويف المعلومات لاستكماله ناقصا دون فائدة علمية مرجوة منها، فالمنفعة الآنية أو الرتبة العلمية التي تقابلها حقائق تاريخية غير كاملة في الابحاث التخصصية سترجع بالسلب على اللقب العلمي الذي سيحوزه الباحث، اذا ما قرأت أبحاثه م قبل المختصين، أو طلبته المتفوقين في نفس تخصصه، مما سيجعل اسمه العلمي المحاز على المحك[8].

ثالثا– صفات أخرى للباحث:

على الباحث الناجح، أن يكون عالما محبًا للدرس، ذا جلد، وصبوراً فلا تمنعه وعورة البحث، والمصاعب، والعقبات عن مواصلة العمل ولا توقفه ندرة المصادر، ولا يصرفه عن عمله غموض الوقائع واختلاطها واضطرابها، حيث يرى حسن عثمان أنه يقضي الشهور والسنوات وهو يعمل ويرتحل من بلد لآخر في وطنه وفي كل مكان يمكن أن يعثر به على ما يفيده، وينبغي عليه ألا يتسرع أو يقتضب تعجلا لنيل منفعة، لأن هذا سيكون على حساب العلم والحقيقة التاريخية " فالجد والمثابرة مزية في كل بحث علمي". كما عليه أن يتصف بالأمانة والشجاعة والإخلاص، فلا يكذب ولا ينتحل ولا ينافق أصحاب الجاه والسلطان ولا يخفي الوقائع والحقائق التي قد لا يعرفها غيره. وعليه أن يبتعد عن حب الشهرة والظهور، والاحتفال بالكسب والألقاب والجاه والمنصب، وأن يكرس نفسه لعمله العلمي في صمت وسكون.

وكذلك، على الباحث أن يتصف بالترتيب، وأن يكون ذا عقل واع ومرتب ومنظم؛ لكي يميز بجلاء بين الحوادث، وينسق الحقائق ويحدد العلاقة بين حوادث التاريخ في الزمان والمكان، ويربطها في اتساق وتوافق. كما عليه أن يكون ذا ذوق رفيع وصاحب إحساس وعاطفة وتسامح وخيال، بما يتيح له أن يدرك آراء الآخرين ونوازعهم، وما يجيش في صدورهم من شتى العواطف، والدوافع التي حركتهم لاتخاذ سلوك معين.

[8] سعيدوني، أساسيات منهج التاريخ، ص 31.

شخصية الباحث في البحث (التفكير النقدي)

ومن المهارات الواجبة في الباحث، أن يكون صاحب إحساس وذوق وعاطفة وذلك ليستطيع أن يدرك آراء الآخرين، فيحس بما في نفوس رجال التاريخ المشهورين. وأن يمتلك مهارة الملاحظة، يستخدم فيها المؤرخ حاسة أو أكثر من الحواس لتفسير الحوادث التاريخية وتخيلها لما هو اقرب للحقيقة. وكذا معرفة كيفية تصنيف المعلومات وتنظيمها وتقويمها، وهي مهارة أساسية لبناء الإطار المرجعي المعرفي للمؤرخ. ومن المهارات القدرة على المقارنة بين الأشياء والأفكار والأحداث وفق أوجه الشبه والاختلاف، والبحث عن نقاط الاختلاف والاتفاق. ولا ينبغي أن تفقد عنده مهارة القدرة على التوصل إلى الأفكار العامة أو الرئيسة والتعبير عنها بإيجاز ووضوح.